الأذان وثيقة ربانية ملؤها الحب والشوق

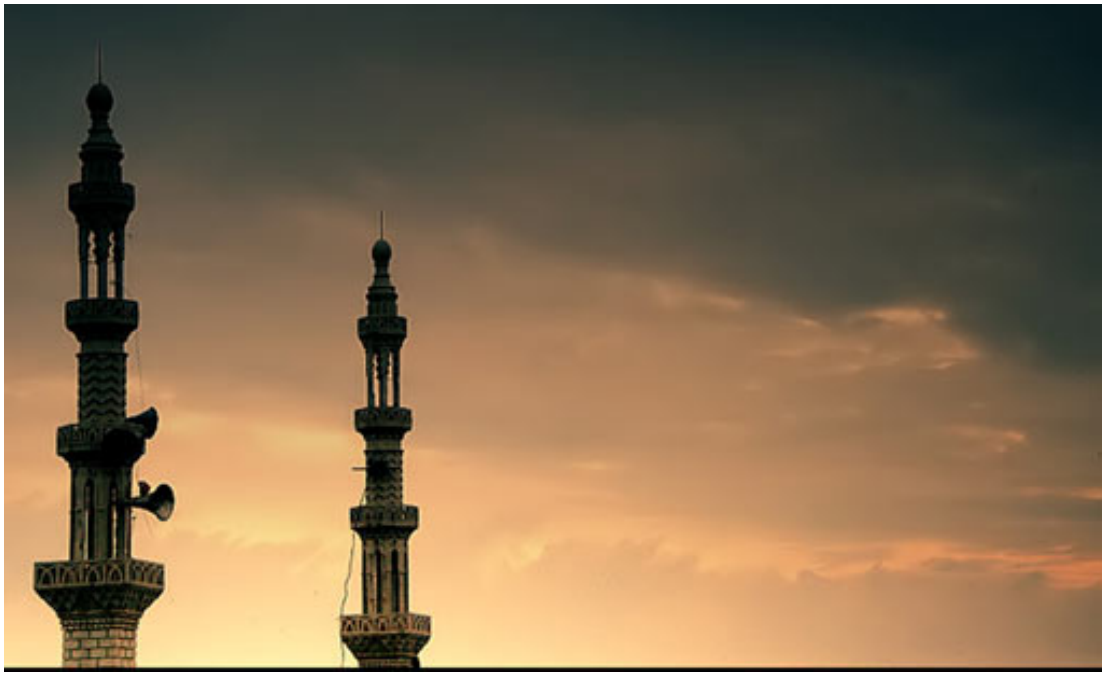

كلّما حانت الصلاة أذن المؤذن ليعلن المبدأ صراحة، فلا خفية، علناً بلا سر، جهراً بلا كتمان، ليقول للناس: هذا دين صريح واضح لا ألغاز فيه ولا أسرار، ولا أحاجي، وأكبر قصد للأذان تعظيم الرحمن، والثناء على الديّان، وتمجيد المنان.

إنّ الأذان وثيقة ربانية يكررها المؤمن كلّ يوم خمس مرات، فكأنّه يقول: يا من نسي أو تناسى تذكر أنّ الله أكبر من كلّ ِ شيء، وأعظم من كلّ ِ شيء، وأحب من كلّ ِ شيء، يا من غفل أو تغافل تذكر أنّه لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله.

يا من جهل أو تجاهل تذكر أنك على موعد مع الله في بيته لتريه ضعفك وفقرك وعجزك وحاجتك.

الأذان يذكرك دائماً بعظمة الله عزّ وجلّ، فهو يصيح بالنائمين: استيقظوا فإنّ الله عظيم، وهو يهتف بالغافلين: تنبهوا فإنّ الله عظيم.

وهو يزلزل الكافرين ويلكم أما علمتم أنّه عظيم، كلّ قرية وكلّ مدينة في الإسلام تضج بالأذان مع كلّ ِ صلاة لتبلغ الناس رسالة العظمة في قوة، وخطبة القداسة في حماس، وخطاب التمجيد في صرامة لسان. حال المؤذن يقول: أيها العالم المنشغل بدنياه، أيتها الخليقة المنهمكة في دنياها، أيها القوم المنغمسون في أعمالهم: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

أيها الفلاح في مزرعته، أيها الأستاذ في مدرسته، أيها الطبيب في عيادته، أيها التاجر في تجارته، أيها الملك في مملكته، أيها المعرض في غفلته، أيها المستغرق في نومته: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

يا حجر، يا شجر، يا مدر، يا بدو، يا حضر، يا من غاب ويا من حضر، يا من اغتنى، ويا من افتقر، يا من غُلب ويا من انتصر: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

أيها الشيخ الهرم، أيتها العجوز المسنة، أيها الشاب، أيها الطفل، أيها الغني أيها الفقير، أيها الناس، كلّ الناس، أيها العالم كلّ العالم، أيها الكون كلّ الكون: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

أيها النهار الباسم، أيها الليل القاتم، أيها الطل الناعم، أيها الجبل الجاثم، أيها النهر الجاري، أيها الضوء الساري، أيها الشعاع الناري، أيتها الحديقة، أيتها الأزهار، أيتها الأوراق: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

يا عرب ويا عجم، يا فرس يا روم، يا بيض يا سود، يا مسلمون، يا كافرون، يا موحدون، يا ملحدون، يا مهتدون يا ضالون، يا عارفون، يا منكرون: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

يا قارات، يا محيطات، يا آسيا، يا إفريقيا، يا أوروبا، يا أمريكا، يا كلّ أرض، يا كل سماء: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الأذان كطلقات المدفع على قلاع الوثنية، وكالقذائف المتتابعة عن ثكنات الجاهلية.

الأذان صيحة نصر، وصرخة الضمير الحي، وصوت الواجب المقدس، ونشيد الأحرار، وملحمة الشهداء، وتحية المنهج الرباني، والشرع المحمدي، والدين الإسلامي (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (الحجر/ 94).

المصدر: كتاب العظمة